ادراك الحيوان غير الناطق

الاجسام الحيّة الارضية اما نبات او حيوان وكلٌّ منهما متفاوت في رتب الخلق والتركيب فمنهما ما هو دنيء في رتبة خلقهِ بسيط في تركيبهِ كعديمات الزهر في النبات وكثير من الحشرات المكرسكوبية في الحيوان . ومنهما ما هو عالٍ في رتبة خلقهِ مشوَّش في تركيبهِ كذوات الزهر في النبات وذوات الثدي في الحيوان. ولا مراء في ان التمييز بين الرتب العالية من النبات والحيوان ليس اسهل منهُ حتى ان الطفل الصغير يقول على الفور هذا الجمل حيوان وتلك الزيتونة نبات . واما التمييز بين الرتب الدنيا فليس اعسر منهُ حتى ان اكبر فلاسفة الارض لا يستطيعون ان يحكموا على بعض الاجسام الحيّة أحيوان هي ام نبات . بل هم لا يجمعون على حدٍّ جامع مانع يفصل الحيوان عن النبات وانما يقال على سبيل الاجمال ان الحيوان يمتاز عن النبات بالحس والحركة الارادية . والحيوان جنس يشمل الانسان وغيرهُ فالانسان حيوان وهذا مسلَّم بهِ اجماعًا من حيث جسدهُ ولكن يختلف فيهِ من حيث عقلهُ . فالبعض يعتقدون ان في الانسان قوًى عقلية غير موجودة في الحيوان ولذلك يقولون ان قواهُ العقلية تختلف في نوعها عن قوى الحيوان العقلية فلو ارتقت قوى الحيوان العقلية لم تصر مثل قوى الانسان العقلية . والبعض يعتقدون ان القوى العقلية واحدة في الانسان والحيوان وانما تختلف في سمو رتبتها فلو ارتقت قوى الحيوان لصارت مثل قوى الانسان . والاولون هم القائلون بالاختلاف نوعًا والآخرون هم القائلون بالاختلاف رتبةً . فهذان اكبر المذاهب واشهرها وفيهما كلامنا الآن وليس القصد ان نذكر هنا مناقشات اصحابها وانما نقصد بيان آرائهما كما هي تاركين ذلك الى وقتٍ آخر

فالقائلون بالاختلاف نوعًا هم الآن اللاهوتيون والفلاسفة العقليون والقائلون بالاختلاف رتبةً هم العلماء في الحيوان والانسان (على ما يقول العلَّامة دوكاترفاج الفرنسوي) . وكلهم يسلمون ان هذا المبحث من اغمض المباحث وان اقوى ادلتهِ الاحتمال المارجح حتى ان القطع بالحكم فيهِ محال في الحال الحاضرة. ويكفي ان نورد على ما تقدم شهادة واحد من كل فريق : قال هاڤن الاميركي وهو من المقالين في المذهب الاوَّل لا ننكر ان بحثنا في هذا الموضوع كثيرًا ما يكون خبطًا على غير هدًى وعلمنا فيهِ ظنون . وانَّا نسلِّم ان الفصل بين عقل الانسان والحيوان بفاصل قاطع لا يتخلَّف هو من اعسر الامور . اه . من فلسفتهِ العقلية . وقال دارون الانكليزي وهو اشهر اصحاب الرأي الثاني انهُ ليعسر حتى على مَن جمع من المعارف اكثر ممَّا جمعتُ ان يعرف مقدار ظهور القوى

العقلية في الحيوان لاننا لا نعرف ما يمرُّ في عقلو . انتهى ملخصًا من كتابهِ تسلسل الانسان

فاذا علمت ذلك فهلمَّ بنا ننظر في مذهب كلٍّ منهما معتمدين على اقوال الفلاسفة والعلماء ومبتدئين بذكر اعتقاد الفلاسفة قديمًا وحديثًا ايضاحًا لكل ابهام . يشهد ماڤن المار ذكرهُ ان الفلاسفة من ارسطو الى ديكارت الفرنساوي كانوا يقولون بالاختلاف رتبةً ويعتقدون ان عقل الحيوان على قدر حاجتهِ ولو كانت احوال الانسان مثل احوال الحيوان لسلك مسلكهُ . واما ديكارت فرفض مذهب الذين تقدموهُ لاحتمال ان تكون افعال الحيوان صادرة عن شيء غير القوة العاقلة التي في الانسان وذهب الى ان جميع الافعال التي يفعلها الحيوان يفعلها بلا عقل ولا فكر على الاطلاق . وانما كما يسوق الثقل الساعة هكذا نفس تركيب الحيوان يسوقهُ سوقًا آليًا عند اقتضاء الاحوال لذلك . فكأنَّ النملة والنحلة والطير آلاتٌ مركبةٌ بحيث اذا دعت الاحوال تبني منازلها وتجمع عسلها وتحوك اوكارها . ومع ان مذهبهُ لم يفلح فقد تبعهُ حديثًا قوم من اكبر العلماء . واما لك وكندِلاك واتباعهما الانكليز والفرنسويون فرفضوا مذهب ديكارت وزعموا ان الحيوانات تفعل افعالها بقوة العادة والالفة . واما ريد وستيوَرت وباقي الفلاسفة الاسكتسيون فذهبوا الى ان الحيوان يفعل افعالهُ بقوة غريزية تدفعهُ الى تتميم تلك الافعال فيفعلها طوعًا لها بلا فكر ولا تعقل وليس كما يسوق الثقل الساعة . ونسبوا الى هذه القوة ايضًا انطباق الجنين عند ادنى عارض ورضاع الطفل ثدي امهِ وغير ذلك مما ينسب اليوم الى فعل منعكس بين العصب والعضل

اما فلاسفة هذه الايام فيختلفون كثيرًا ولعل جمهورهم لا يسلِّم بمذهب من المذاهب المتقدِّمة غير انهم بوجه الاجمال يفصلون بين الانسان والحيوان بقوى النفس العليا كما سيأتي مفصلاً وان كانوا عند التحقيق يكاد لا يتفق اثنان منهم على هذه القوى ولا على فعلٍ واحدٍ منها . تسمى نفس الانسان من حيث افعالها عقلاً وحسًّا وارادةً فتسمى عقلاً اذا اشتغلت بادراك الامور وتسمى حسًّا اذا انفعلت بتأثير المدركات كالحس بالفرح والحزن والغضب الخ . والعقل تدرَّج افعالهُ في ثلاثة اقسام (بحسب تقسيم هكوك في فلسفتهِ العقلية الموافق لتقسيم السر وليم هاملتون الشهير) الاوَّل شعور وهو فعل القوى المدركة لما في الخارج بواسطة الحواس الخمس . والثاني ذهن (او فهم) وهو فعل القوى التي تنسب مدركات الشعور الى جواهرها . وعدَّ منها هكوك المذكور قوة الذكر والتصوُّر والتخيُّل وائتلاف الافكار والتجريد والتامل وهو رجوع النفس والتفاتها الى ما يمرُّ فيها من الصور والحكم وهو ادراك النسبة بين امرين اثباتًا او نفيًا والاستدلال وهو اقامة الدليل . ولما كان المقام لا يحتمل تفصيل شيء من هذه القوى نكتفي بارشاد الطالب الى كتاب

الفلسفة العقلية المنسوب الى الدكتور دانيال بلس حيث يجد اكثرها بسيطًا منفصلاً . والثالث بديهة وهي اسمى القوى العقلية في الانسان وبها ندرك القضايا البديهية مثل ان الكل اعظم من جزئهِ وان هذا الموجود المدرك هو انا وان الاشياء المساوية لشيء واحد هي متساوية . وبالاجمال هي (على ما يقول هيكس الاميركي في فلسفتهِ الادبية) القوة التي تدرك بها النفس اولاً وجودها وتنسب بها افعالها لذاتها وثانيًا الاوليات التي يبنى عليها العلم وثالثًا الجمال والقبح وعليهما مدار علم الجمال ورابعًا الحلال والحرام وعليهما مدار الآداب . وهي قوة التديُّن في الانسان . وتُعرَف مدركاتها بطرق شتى اشهرها انها ضرورية عامة لكل فرد من افراد البشر

قلنا آنفًا انهُ عند التفصيل لا يكاد يتفق اثنان من الفلاسفة على فصل قوى نفس الانسان عن قوى نفس الحيوان على ان اكثرهم يسلمون اجمالاً بان الحيوان ناقص البديهة فنعوزهُ جميع مدركاتها وتأثيرها في القوى الباقية ولذلك يعتقدون ان قوى نفس الحيوان لا تجعلهُ يعقل كالانسان مهما ارتقت لخلوها من البديهة فهي تختلف عندهم عن قوى الانسان نوعًا . ولكنهم يسلمون بان الحيوان لهُ قوة التصوُّر والتخيُّل وائتلاف الافكار كما نقل دوكاترفاج عن بونيو وانهُ يميز بين الملائم والمنافر ويجري على نتيجة تمييزهِ ولذلك تكون لهُ قوة الحكم والاستدلال كما نقل دوكاترفاج ايضًا عن الخوري لوكنت . وانهُ يكسب من التجربة حذقًا وفطنةً بقواهُ العقلية كما يشهد هكوك . والخلاصة انهم يسلمون بوجود شيء مدرِك في الحيوان اسمى من المادة يسمونهُ نفسًا كما نقل دوكاترفاج عن بونيو . وانما ينكرون على الحيوان البديهيات كالتدين وادراك وجودهِ والجميل والقبح والحلال والحرام وليس كما يزعم بعض المدعي الفلسفة (وهم لا يعرفون منها الاَّ الاسم على ما يظهر) انهم ينكرون وجود القوى العقلية او اكثرها في الحيوان . هذا وهم يسلمون ايضًا ان نفس الحيوان تنفعل بمدركاتها العقلية كما تنفعل نفس الانسان فلهُ حس موافق لقواهُ العقلية واما الحس بمدركات البداهة فغير موجود فيهِ لعدم وجود البداهة

اما اصحاب المذهب الثاني اي الذين يقولون بالاختلاف رتبةً فقط فيمكن ان يقسموا الى قسمين قسم ينكر ان الآداب والدين من مدركات القوى العقلية وقسم يسلم بذلك . فمن القسم الاوَّل دوكاترفاج واتباعهُ . فهولاء يذهبون الى ان الحيوان توجد فيهِ كل قوى الانسان العقلية بلا استثناء ولكنها اوطأ منها درجة وأنَّ زَعْمَ الفلاسفة ان الحيوان لا يدرك وجودهُ ولا يعلم افعال عقلهِ محض تعسُّف . واما الآداب والدين فيقولون انها توجد في الانسان ولا توجد البتة في الحيوان ولكن مصدرها غير المصدر الذي يجعلهُ لها الفلاسفة . قال دوكاترفاج في كتابهِ النوع الانساني ما معناهُ : في اعتقادي ان الفلاسفة يجعلهم الدين والآداب واسمى القوى العقلية افعال

فاعل واحد يخلطون شيئين ممتازين في شيء واحد . ولذلك لما لم يقدروا ان يجدوا في الحيوان دينًا ولا آدابًا انكروا عليهِ القوى العاقلة ايضًا مع انهُ يبرهن وجودها فيهِ كل لحظة على ما ارى. اه

ومن اصحاب القسم الثاني داروين واتباعهُ فهؤلاء يسلمون ايضًا بانهُ لا يوجد في الحيوان تدين ولا آداب ولكن يعتقدون بان اصولها موجودة فيهِ وهم لا يفرقون البتة بين الانسان والحيوان الاَّ في الرتبة . فداروين يعتقد (كما في كتابهِ تناسل الانسان) ان الدين وهو على رايهِ اعتقاد البشر اجمعًا بوجود الارواح (غير الله تعالى) يحصل من اشتغال اسمى القوى العقلية في الانسان. ولما كانت هذه القوى ضعيفة في الحيوان لم تتصل الى الدين كقوى الانسان. واما الاعتقاد الشريف بوجود الله تعالى فهو على رايهِ غير عام لكل فرد من البشر ولذلك وجب ان لا يحسب ضروريًا عندهُ . ويعتقد ايضًا ان الآداب التي اساسها الحلال والحرام تحصل من اشتغال القوى العقلية في الانسان مع ميلهِ الغريزي الى الانس والمعاشرة . واما بقية الادراكات البديهية فيسلم بانها موجودة في الحيوان ولكنها اوطأ مما في الانسان وعندهُ انهُ لو كانت قوى الحيوان العقلية في درجة قوى الانسان لم يكن الحيوان ينقص عن الانسان عقلاً

ذيل

فاذ قد فرغنا من بسط آراء الفلاسفة والعلماء ننتقل من معرض تلك الفلسفة الى معرض فلسفة أُخرى قد حارت العقول في امرها وما في الاَّ فلسفة البشير التي عشقت الغرابة كما ابغضت الحق . فلا يخفى ان البشير ادَّعى على المقتطف بانهُ يذيع بين ظهراني الناس تعليمًا وخيمًا لانهُ ادرج تبذة عنوانها الادراك في الحيوان غير الناطق خالية من كل ما ادَّعى بهِ البشير كما يتبيَّن في غير هذا المكان وليس قصدنا هنا ان نبطل دعواهُ وانما الغرض ذكر براهينهِ لينعجب القارئ من فلسفتهِ .

اما برهانهُ الاوَّل على انهُ لا عقل للحيوان فهو انهُ لو قيل للانسان انت كلب انت حمار انت بهيمة انت وحش لما صبر على ذلك وهذا في زعمهِ يدلنا على ان الحيوان خالٍ من العقل . فلو قيل للانسان انت بربري انت مكَّار انت محتال فهل يصبر على هذا القول. كلاَّ . اذن يلزم على قياس البشير ان يكون الانسان البربري خاليًا من العقل كباقي الحيوانات وعليهِ فلا فرق بين الانسان والحيوان الاَّ في رتبة العقل وهو عين ما يدَّعي البشير انا نذيعهُ

لا تنهَ عن خلقٍ وتأتي مثلهُ ... عارٌ عليك اذا فعلت عظيمُ

واما برهانهُ الثاني الذي قال عنهُ انهُ قاطع يدل على صدق قولهِ ويفحم كل من تصدَّى لمعارضتهِ فهو "ان الغرائب التي قد تصدر عن الحيوان لا يحتاج تفسيرها الى وجود العقل فيها والاَّ لقد الجانا الامر الى التصديق بوجود نفس ناطقة في البلور والنجوم والزهور جميعًا حتى نفهم

النسق الانيق الذي في تركيبها والوانها ونموها وحركاتها". انتهى. فحقًّا ان لنا في هذا البرهان العجب العجاب ولقد اضحكنا الضحك رغمًا عنا حتى صرنا نسلم بان خوضنا في مثل هذه الفلسفة عبث محض فكفى ردًّا ان نسأل كل عاقل كيف يثبت العقل للزهرة او البلورة او النجمة اذا ثبت للقرد او للكلب مثلاً وما علاقة راس تلك المقدّمة بذنب هذه النتيجة. فعلى القارئ اللبيب ان يتأمل في ما ذكرناهُ هنا عن الفرق بين الحيوان والنبات وما ذكرناهُ مرارًا عن الفرق بين الاجسام الحية وعديمة الحياة ثم يحكم بعين الانصاف ان كان في ما ذكرهُ البشير علينا الاّ السفسطة والقذف

وكم من عائب قولاً صحيحًا وآفتهُ من الفهم السقيم

مقدار المطر في القدس

في يومين من ايلول	سنة ٧٨	٧٩٠ من القيراط
في يوم من تشرين الثاني	سنة ٧٨	٢٥٠ من القيراط
في ٤ ايام من كانون الاوّل	سنة ٧٨	٣٠٠٠ قراريط
في ٦ ايام من كانون الثاني	سنة ٧٩	٩٨٠ من القيراط
في ٦ ايام من شباط	سنة ٧٩	٢٦٥٠ من القيراط
في ١٧ يومًا من اذار	سنة ٧٩	٧٥٢٠ من القيراط
في ٣ ايام من نيسان	سنة ٧٩	١٥٢٠ من القيراط
٣٩ يوم		١٦١٠٠

اما مقدار المطر الذي نزل عندنا في العام الماضي فهو ٤٢٨٨٣ من القيراط فيكون مطر هذه السنة اقل من الذي قبلهُ ٢٦٧٨٣ من القيراط. وكانت محصولات الاراضي العالية رديئة جدًّا هذه السنة ليس لان المطر لم يكن كافيًا لها بل لانهُ لم يكن متواصلاً من ابتداء الشتاء فالاراضي العالية لفحت مزروعاتها وتوقّف نموّها واما الواطئة فكانت اقوى. فمزروعات سنة ٧٧ كانت احسن من مزروعات هذه السنة لان المطر كان متواصلاً مع ان مقدارهُ كان اقل من مقدار هذه السنة

يوسف الجل